مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 14 / العـدد: 03 (2026)، ص 35- 54

الدّين في رو اية شيفرة دافنشي لدان براون: بين الو اقع والراسخ والمشبوه:

Riligion in the Da vinci Code by Dan Brown: Between reality and the established and the suspicious.

حنان بن قيراط[1].

[1] جامعة 8ماي 1945، قالمة (الجزائر)، benkirat.hanane@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2026/ 04/01 تاريخ القبول: 2026/06/11 تاريخ النشر: 2026/08/12

ملخص:

حقّقتْ رواية **شيفرة دافنشي** للكاتب الأمريكي **دان براون** نجاحاً باهراً وشهرةً واسعةً، وأحدثت انقلاباً كبيراً على الساحة العامة والأدبية والدينية، بما تكشفه من موضوعات دينية خطيرةٍ جعلتْ منها روايةً بوليسيةً متميّزةً. وإذا عدنا لمضمون الرواية وتمحّصنا فيها طرق توظيف الخطاب الديني فيمكننا إدراك الكثير من التفاصيل المتعلّقة بالديانة المسيحية التي يعتبرها المسيحيون من المسلَّمات البديهية التي لا يجوز المساس بها. كما كانت بمثابة قفزةٍ نوعيةٍ متميّزةٍ تنطق بلغة الأسطورة والتاريخ والدين والفنّ والسياسة... كوسائل رمزيةٍ لفضاءٍ رحبٍ بالخيال وأحداثٍ كثيرةٍ شكّلت جانباً هامًّا في بنيتها، ويهيمن الخطاب الديني بقوّةٍ ويتعالق مع عالمها الروائي ليشكّل استجابةً وحاجةً ضرورية لتوظيفها تجسّد رؤى الروائي وأفكاره وأهدافه.

كلمات مفتاحية: الدين، شفرة دافنشي، دان براون، الرواية البوليسية، تحريف الإنجيل.

Abstract:

The Davinci code novel achived great success and wide fame, It caused a major revolution in the public, Literary and religious arena .It did not reveal dangerous religious topics that made it a distinguished police novel. If we have the content of the novel and we have examined the methods of employing religious discourse in it, we can grasp a lot of details about theatrical religion that christians consider it a self-evident that should not be touched, and it was a distinct qualitative leap that spoke the language of legend, Histoty, Religion, art and politics…

As symbolic means of a spase that welcomed imagination and many events formed an important aspect of its structure.

The religious discourse dominates strongly and relates to its fictional world in the form of a response and necessary need to employ, it that it embodies the novelist's visions, ideas and goals.

Keywords: Religion; Davinci Code; Dan Brown; Detective Novel; Distortion of the Bible.

المؤلف المرسل: حنان بن قيراط .

1. مقدمة:

أصبح **دان براون** يتمتّع بشهرةٍ عالمية بعد روايته **شيفرة دافنشي**، بما أثارته من جدلٍ ونقاشاتٍ لم تصنعها رواياته السابقة، التي لم ترقَ إلى قائمة الكتب الأكثر مبيعًا إلاّ بعد نجاح **شيفرة دافنشي**. وقد نهلتْ من نبع التاريخ والأساطير القديمة وأعادت إنتاجها لتتماشى وأهدافها، ومعبّرةً عن واقع الحياة المتأزّمة عند الغرب نتيجة سيطرة الكنيسة وتزويرها للحقيقة وإخفائها كثيرًا من الحقائق المتعلّقة بالدين المسيحي لاسيما شخصية **المسيح**. وما تعلّق بالمسيحية والكنيسة والفاتيكان وبعض الجمعيات والأخويات السريّة القديمة التي مازالت تنشط في الخفاء إلى يومنا هذا مثل: **جمعية أوبوس داي، جماعة سيون**... والصراعات التي مازالت قائمةً بينها، ممّا تكشفه الرواية ما يجعلها تثير الأسئلة أكثر ممّا تقدّم أجوبةً، فاتحةً بذلك آفاقًا للتساؤل عن القضايا الجوهرية حتّى وإن كانت لا تقبل الشكّ فيما يخصّ مسائل العقيدة والإيمان الراسخ ... وبذلك استطاعت الرواية أن تنفذ إلى أغوارها وتطرح مختلف قضاياها .

وقد كانت الرواية مثل الضربة القاسيّة أو القنبلة الموقوتة التي انفجرت فجأةً دون إنذارٍ مسبقٍ في وجه الكنيسة الكاثوليكية، وأصابتها في الصميم مخلّفةً آثارًا قويةً وعميقةً امتدت للتشكيك في حقيقة المسيحية والممارسات الكنسية. وهذا ما لم تستطع فعله أيّ أبحاثٍ أو رواياتٍ أو كتاباتٍ سابقةٍ، ذلك أنّ الرواية قامت على حبكةٍ بوليسيةٍ مشوّقةٍ ومليئةٍ بالحركة بما يشبه الحقيقة الموجّهة لجميع أنحاء العالم بمن فيهم المسيحيين بمختلف طوائفهم. وقد مزجت الرواية كثيرًا بين الحقيقة والخيال، بين الدين والتاريخ، بين الأساطير والوثنية، فيما يعتقده أتباع الكنيسة خاصّةً وأنّها قامت بأكبر خدعةٍ في تاريخ البشرية عندما

أزاحت **المجدلية** عن طريقها ودورها البارز في المسيحية، ووسمها بالعار لإقناع العالم بألوهية **المسيح**، كما قامت بحذف واستبعاد الأناجيل التي تقول بإنسانية **المسيح**.

ولأنّ الرواية مليئةٌ بالمفاجآت، كان لا بدّ من الوقوف على أهمّ الموضوعات الدينية التي قامت عليها وتعميق دراستنا لأهمّ الرموز التي تخصّ جوهر العقيدة والحياة المسيحية ممّا ادّعته الرواية. وهذه الموضوعات تتعلّق بـ : الكتاب المقدّس، طبيعة السيد **المسيح**، حياة السيّد **المسيح**.

2. الكتاب المقدّس:

سعتْ الرواية لتشويه الديانة المسيحية، فاتّهمتها بالكثير من الممارسات الوثنية، وهاجمت ثوابتها وعلى رأسها الكتاب المقدّس الذي أخفى الطبيعة الإنسانية للمسيح، وجوانب هامّة من حياته وحقيقة زواجه بما يُعارض مقولة الكتاب المقدّس من أنّه كان أعزبًا. كما كالتْ اتّهامات خطيرة للكنيسة الكاثوليكية في ممارسات وعقائد لا تخصّ الكاثوليك فقط بل مختلف الطوائف الأخرى مثل الأرثودكس والبروتستانت والإنجليكان... وصوّرت التاريخ على أنّه مجموعة ألغاز ورموز غامضة ومبهمة تلتف حول الكنيسة والفاتيكان دائمًا، إذ صوّرته على أنّه خزانة الأسرار والغموض وإخفاء الحقائق التاريخية والدينية، خاصّةً ما يعارض مصالحها وما جاء في الأناجيل التي تنكر بشدّةٍ أنّها مزوّرة. ونسبتْ لأشخاصٍ ما لم يكن لهم ومزجها بالأساطير والقصص والروايات المنحولة والمزيّفة، وادّعت التحرّي عنها حتّى وصلتْ فيها للحقائق الدامغة. كما سنحاول بيانه في هذا الموضع.

في تأكيد الرواية أنّ **المسيح** تزوّج من **مريم المجدلية** وأنجب منها، وأنّ الكنيسة الكاثوليكية حاولت إخفاء هذا العمل لذلك قامت بإتلاف النصوص الموضّحة لذلك بما يؤكّد عزوبيته، فإنّها هنا تثير قضايا هامّة يجب الحديث عنها. فبم تتعلّق المشكلة إذن؟

تتعلّق هذه المشكلة أساسًا بما يسمى الأناجيل المزوّرة وبمخطوطات البحر الميت التي استندت إليها الرواية، لبيان حقيقة ما قامت به الكنيسة من تزوير وتحريف الأناجيل القديمة وللمحافظة على مكانتها ودوام سيطرتها على الناس، وأيضًا الكأس المرتبط بحقيقة **مريم المجدلية** وزواجها من **يسوع**. كما زعمت الرواية أنّ أسفار العهد الجديد هي كتبٌ محرّفةٌ، وأنّ الكتب الأبكريفية هي الكتب الأصلية غير المحرّفة

التي كتبها رسل **المسيح**، وأنّ مجمع نيقية قرّر عقيدة ألوهية **المسيح** ثمّ رفض هذه الكتب الأبوكريفية وحرّمها نهائيًا. ويستدلّ على ذلك بالأناجيل الغنوصية Gospels Gnostic، نسبةً إلى مجموعةٍ مسيحيةٍ قديمةٍ كانت تنكر الطبيعة الإلهية للمسيح.

تضرب الرواية في الكتاب المقدّس؛ فقد ورد على لسان **لاي تيبينغ** ساخرًا: " إنّ الإنجيل لم يُرسل من السماء عن طريق الفاكس... إنّ الإنجيل هو كتابٌ من تأليف بشرٍ يا عزيزتي ولم ينزل بوحيٍ من الإله وهو لم يهبط بشكلٍ خارقٍ من الغيوم في السماء، فهو من ابتكار الإنسان الذي ألّفه لتسجيل الأحداث التاريخية في تلك العصور التي طبعتها النزاعات والفتن، وقد تطوّر وتحرّف من خلال ترجماتٍ وإضافاتٍ ومراجعاتٍ لا تعدّ ولا تحصى، والنتيجة هي أنّه لا توجد نسخةٌ محدّدةٌ للكتاب في التاريخ كلّه " (براون، 2006، صفحة 259).

هذا التصريح هدفه بيان حقيقة تحريف الإنجيل ولكن بطريقةٍ خاصّةٍ عنده لتصوير ما قام به الإنسان والكنيسة الأولى باعتبارها المسؤولة، خاصّةً وأنّه يربط ذلك بالمسيح ويستعمله كطعمٍ سائغٍ لإثبات آرائه من أنّه كان سليل **الملك سليمان**. وفي ذلك تحريضٌ للمطالبة بعرش اليهود: " أسقط يسوع ملوكًا وألّهم الملايين وابتكر فلسفاتٍ جديدةٍ بصفته النبي المخلّص، وكان يمتلك حقًّا شرعيًّا للمطالبة بعرش ملك اليهود حيث أنّه كان يتحدّر من سلالة الملك سليمان والملك داود. بسبب ذلك كلّه تمّ تسجيل حياته بيد الآلاف من أتباعه في كلّ أنحاء الأرض... تمّ أخذ أكثر من ثمانين إنجيلاً بعين الاعتبار لتشكّل العهد الجديد، إلاّ أنّ القليل منها فقط تمّ اختياره في النهاية، وهي إنجيل متّى ومرقص ولوقا ويوحنا " (براون، 2006، صفحة 259). كما اِدّعتْ أنّ العهد الجديد قد تمّ جمعه وكتابته وتدوينه طبقًا لأهدافٍ سياسيةٍ، على يد رجالٍ ذوي نفوذٍ لنشر الأكاذيب حول ألوهية **المسيح**. وأنّ ما هو مثيرٌ للسخرية والتناقض عنده بشأن المسيحية هو جمع الأناجيل على يد الإمبراطور الوثني **قسطنطين العظيم**، وقد كان طيلة حياته وثنيًا ولم يتم تعميده إلاّ وهو على سرير الموت وقد: "كان الدين الرسمي في روما هو عبادة الشمس أو بالأصحّ عبادة الشمس التي لا تُقهر، وكان قسطنطين هو كبير كهنتها لكن لسوء حظّه كان هناك اهتياجٌ دينيٌّ

متزايدٌ يجتاح روما، فقد كان عدد أتباع المسيح قد تضاعف بشكلٍ مهوّلٍ وذلك بعد مرور ثلاثة قرونٍ من صلبه " (براون، 2006، صفحة 260).

وتدّعي في هذا الصدد أنّ المسيحيين والوثنيين بدؤوا يتحاربون، وزادت حدّة النزاع حتى تمّ تهديد روما بالانقسام إلى قسمين؛ فكان أهمّ العوامل السياسية للسماح بالمسيحية عام 313م هو: " تفشّي الاضطرابات السياسية والإدارية في عصره، مما حدا به إلى القبول بالنصائح التي أُسديت إليه باعتناق المسيحية وإعلانها ديانةً رسميةً للدولة، لما لها من دورٍ في تكييف مشاعر الناس نحو الدعة والمسالمة وطاعة الحاكم ورئيس الكنيسة، على اعتباره نائبًا للإله النصف بشري حسب النكهة الرومية الهيلينية" (باول، صفحة 32).

ولا أدلّ على العوامل الثقافية من أنّ: " الديانات الوثنية الغربية لدى اليونان والرومان كانت ديانات تعدّدية تؤمن بتعدّد الآلهة وانقسام شخصياتها، على نقيض الديانتين المشرقيتين التوحيديتين آنذاك: اليهودية والمسيحية. فرغبتْ أوربا الداخلة في المسيحية بإضفاء صبغتها الثقافية عليها لكي تكون نسخةً أوربيةً معدّلةً توائم تراثها الثقافي. ومن يقارن بين مفهوم الله في التثليث المسيحي فبإمكانه أن يعثر على ظلالٍ له في مفهوم زيوس أبي الآلهة الإغريقي أو جوبتير أبي الآلهة الروماني، من حيث الشكل على الأقلّ " (باول، صفحة 32).

فعقيدة تأليه **المسيح** في المذاهب الرسمية المسيحية قد اتّخذت شكلها الحالي في القرن4م في مجمع نيقية المسكوني (باول، الصفحات 28- 31)، حين اِتّخذ **قسطنطين** قرارًا حاسمًا سنة 325م بتوحيد روما تحت لواء دين المسيحية، فكان ذلك مثيرًا من إمبراطورٍ وثنيٍّ يختار المسيحية دينًا رسميًّا لإمبراطوريته: "كان قسطنطين رجل أعمالٍ حاد الذكاء، فقد استطاع أن يرى أنّ نجم المسيحية كان في صعودٍ فقرّر ببساطةٍ أن يراهن على الفرس الرابحة. ولا زال المؤرخون حتى اليوم يتعجّبون لذكاء قسطنطين في الطريقة التي اتّبعها في تحويل الوثنيين عن عبادة الشمس إلى اعتناق دين المسيحية، حيث أنّه خلق دينًا هجينًا كان مقبولاً من الطرفين، وذلك من خلال دمج الرموز والتواريخ والطقوس الوثنية في العادات والتقاليد المسيحية الجديدة" (براون، 2006، صفحة 260) . بعد أن راق ذلك للإمبراطور **قسطنطين**

وأعجب به ورأى في المسيحية وسيلةً لتقوية قدرته العسكرية وتوحيد الإمبراطورية الرومانية الواسعة والمضطربة: " تمّ إقناع قسطنطين فكان أن ترأّس أوّل مجمعٍ كنسيٍّ مقدّسٍ في نيقية عام 325م... وكان واحدًا من القرارات السياسية التي تمّ التوصّل إليها في مجمع نيقية هو تأسيس العقيدة النيقاوية وهي وسيلةٌ استهدفت حفظ العقيدة بالإيمان بقوّةٍ واحدةٍ متفوّقةٍ سليمةٍ، وفي الوقت نفسه مثّل ذلك دمج يسوع في صورة الرب. وبذلك جاء عدم عدّ يسوع بأنّه فانٍ، فهو واجهةٌ للربّ ومظهرٌ له، الرب الذي ينبغي فهمه كآبٍ وابنٍ وروح قدسٍ. ومثّلت عقيدة التثليث الجديدة هذه وحاكت كثيرًا صورة تأليهٍ قديمةٍ " (إيليربي، 2005، صفحة 34، 35) .

هذا يعني أنّه قام بعملية تشويهٍ ودمجٍ، حيث تظهر آثار الوثنية في الرموز المسيحية بوضوحٍ مثل أقراص الشمس التي أصبحت الهالات التي تحيط رؤوس القديسين، الرموز التصويرية لإيزيس وهي تحضن طفلها المعجزة حورس أصبحت أساس صور العذراء تحتضن المسيح الرضيع، عناصر الطقوس الكاثوليكية كتاج الأسقف والمذبح والتسبيح والمناولة وطقس طعام الرب هي مأخوذةٌ من أديانٍ وثنيةٍ غامضةٍ، الإله الفارسي ميثرا الذي يعود إلى ما قبل المسيحية والملقّب ابن الرب ونور العالم عندما مات دُفن في قبرٍ حجريٍّ ثمّ بُعث حيًا بعد ثلاثة أيامٍ... وهنا ضربٌ في تعاليم وطقوس المسيحية المستمدّة من الوثنية، كما أرادها **قسطنطين** بدءًا بتاريخ 25 ديسمبر من أنّه ميلاد **المسيح** في البداية ثمّ أُستبدل بالفاتح من جانفي وهو تاريخ ميلاد **أوزيريس** و**أدونيس** و**ديونيسيوس**... وحتى يوم العطلة الدينية الأسبوعية قد سرق من الوثنيين عبدة الشمس: "كان المسيحيون يتعبدون الرب في نفس يوم اليهود شباط أو السبت، لكنّ قسطنطين غيّره ليتوافق مع اليوم الذي يقوم فيه الوثنيون بعبادة الشمس لحضور القدّاس دون أن تكون لديهم أي فكرةٍ أنّهم هناك يوم احتفال الوثنيين بالشمس المقدّسة Sunday أو يوم الشمس " (براون، 2006، صفحة 261) . وقد ذلك حدث بعد انعقاد **مجمع نيقية**، إذ تمّ التصويت لألوهية **المسيح** لتوطيد وحدة الإمبراطورية الرومانية وإقامة قاعدة الفاتيكان. والظاهر أنّ **قسطنطين** قد فتن النصارى الأوّلين عن دينيهم الحقّ في الاعتقاد بإنسانية المسيح، فخلط بين الوحي المنزّل وتعاليم أديانٍ وضعيةٍ وثنيةٍ قديمةٍ عُرفت عند الهنود والمصريين القدامى، وانتصر الملك في النهاية وروّج للمسيحية الممزوجة بالوثنية.

يذكر التاريخُ نجاحَ الكنيسة في تحويل المسيحية من عقيدةٍ ممقوتةٍ إلى ديانةٍ رسميةٍ للإمبراطورية الرومانية والعالم، فأعادت النظر في الكتابات المسيحية وعدّلوها لتكون أكثر قبولاً بدمج عناصر الوثنية في ديانتهم ليتمكنوا من إعادة النظام للإمبراطورية وضمان حمايتها وأمنها: "كانت هناك أعمال تزييفٍ وإقحامٍ بدرجة الجهالة قد أحدثت سوءًا على مستوى رفيعٍ، وعلى الرغم من أوامر التحريم والمنع الكنسية ضدّ التعمّق بالأبحاث ومتابعتها حول أصول الأناجيل، أظهر العلماء بأنّ الأناجيل القانونية الأربعة قد جرى تزويقها مع إعادة النظر في نصوصها. وفي الوقت التي ادّعت فيه الكنيسة بأنّ الصدق كان محدّدًا من حيث الطبيعة، وقد ظهر بالإلهام مرّةً واحدةً " (إيليربي، 2005، صفحة 32).

بالرغم من كثرة الجدل حول هذه القضية الخطيرة التي لم يُفصل فيها بين المؤرّخين عن حقيقة ما فعله **قسطنطين** في مجمع نيقية، إلاّ أنّ صاحبا كتاب **التحقيق** يريان أنّ الإمبراطور **قسطنطين** دعا سنة 325 م لعقدٍ مجمعٍ دينيٍّ في نيقية، ولكن ليس لسنّ قانون الكتب المقدّسة المسيحية، وإنّما لمعالجة المسائل التنظيمية والتأديبية للكنيسة، أي في إطار مجابهة المذاهب التي فرّقت المسيحية آنذاك، مع الاهتمام بمركزية عبادة الإله الواحد الذي يكون ثلاثة: الآب والابن والروح القدس. والسبب الأكثر أهميةً –حسبهما– هو: " عبادة الأريوسية، عقيدة آريوس (256 – 336) راهبٌ من الإسكندرية هو أصل الأزمة التي أدّت إلى دعوة المجمع في نيقية... يرى آريوس أنّ الأشخاص الإلهيين في الثالوث الأقدس لا يمكن أن يكونوا متساويين ولا مندمجين. فالعلاقة المطلقة للألوهية يجب أن تكون ليس فقط غير مخلوقةٍ لكن غير مولودة... ابن الله لا يمكن أن يكون إلهًا كاملاً لأنّه ولد من الآب، إلهٌ ثانٍ يشغل مكانًا وسطًا بين الإله السامي والخلق " (نوار، 2006، صفحة 149). وقد وجدت أفكار **آريوس** العديد من المؤيدين، بمن فيهم أساقفة الطوائف المسيحية حتّى أمر **قسطنطين** بسجنه ونفيه.

ويفنّد صاحبا كتاب **التحقيق** ما جاءت به الرواية من مزاعم بأنها ليست صحيحةً تاريخيًا، ذلك أنّ **قسطنطين** لم يهتم مطلقًا بكتابة الكتاب المقدّس لأنّه قد تمّت كتابته قبله وحتى بعده، مقدّمين في ذلك أدلّةً تثبت ذلك، ممّا كان كثيرٌ من الناس يروونه قبل حكم **قسطنطين** نفسه (نوار، 2006، الصفحات 146- 148).

والرأي السائد بين علماء العهد الجديد اليوم أنّ كتابة الأناجيل الأربعة بدأت قبل عام 70م بقليلٍ، وانتهت مع نهاية القرن الميلادي الأوّل أو بداية الثاني: "من الملاحظ عن الأناجيل الأربعة أنّ ثلاثةً منها – إنجيل متّى ومرقس ولوقا – تتحدّث عن يسوع بشكلٍ متناسقٍ، على عكس الإنجيل الرابع – إنجيل يوحنا – الذي يختلف جذريًا عن الأناجيل المتناسقة في حديثه عن يسوع. من الملاحظ أيضًا أنّ المعلومات الأساسية التي يوفّرها إنجيل مرقس عن يسوع واردةٌ أيضًا في إنجيلي متى ولوقا. وذلك إلى جانب معلوماتٍ أخرى لا يأتي مرقس على ذكرها. وهذا يعني أنّ إنجيل مرقس لم يكن إلاّ واحدًا من المصادر التي اعتمد عليها متى ولوقا في كتابة إنجيليهما " (باول، صفحة 21). وهذا يعني وجود معلوماتٍ مشتركةٍ بينهم، ووجود ما هو خاصٌّ بإنجيلٍ واحدٍ، ما يوحي بأنّهم استقوا بعض معلوماتهم من مصدرٍ مشتركٍ، وبعضها من مصادر مختلفةٍ (باول، الصفحات 21– 23).

3. طبيعة السيّد المسيح:

لم يكتفِ الرواية بالمساس بالكتاب المقدّس والتشكيك بما جاء فيه وطريقة جمعه وكذا المسؤول عن تدوينه، بل تعدّتْ للحديث عن طبيعة السيد **المسيح**؛ ورأتْ أنّ كلّ ما علّمته الكنيسة عنه زائفٌ ومحرّفٌ خاصّةً ما تعلّق بلاهوته؛ فخلال القرون الأولى للمسيحية لم يكن هناك اعتقادٌ بألوهيته أو أنّه ابن الرب، بل كان في نظر أتباعه نبيًا فانيًا ورجلاً عظيمًا له سلطةٌ واسعةٌ. ويؤكّد مؤرّخو المسيحية أنّ ألوهية **المسيح** تمّتْ بعد انقضاء عهد تلاميذ المسيح الأوائل، أي بعد انقضاء حوالي قرنٍ على الأقل على موته: " في القرن الأوّل للمسيحية كانت مذاهب الناس في المسيح لا تزال متشعّبةً، فغالبية اليهود المعاصرين له أبغضوه وأنكروا رسالته من الأساس... وفي المقابل آمن به عددٌ من يهود فلسطين ورأوا فيه المسيح المبشّر به في أسفارهم ومن هؤلاء الحواريون (التلاميذ)... كان هناك المؤمنون الجدد الأمميين (الوثنيين) وغالبهم آمن بدعوة التلاميذ بعد رحلة المسيح، وهؤلاء كانوا متشبّعين بثقافة عصرهم الوثنية الهيلينية التي تنظر للعظماء من أباطرةٍ أو قادةٍ فاتحين أو فلاسفةٍ عظامٍ، على أنّهم أنصاف آلهةٍ أو أبناء آلهةٍ هبطت لعالم الدنيا وتجسّدت لخلاص بني الإنسان وهدايتهم. فصار كثيرٌ منهم ينظرون لشخصية المسيح بالمنظار نفسه خاصّةً وأنّه كان يعبّر عن المسيح في لغة الأناجيل بابن الله، فأخذوا هذه النبوّة على معناها الحرفي

لوجود نظيرٍ لذلك في ثقافتهم الوثنية، ورأوا فيه ابن الله الحقيقي الذي كان إلهًا فتجسّد ونزل لعالم البشر لخلاصهم. لاقت هذه العقيدة رواجًا لدى جمهور العامة، الذين يعجبون بالغلوّ في رفع مقام من يقدّسونه ويؤمنون به، ويرون ذلك من كمال الإيمان به والمحبّة له. وقد لعبت عدّة عوامل سياسية واجتماعية وحتّى لغوية لصالح الاتّجاه الوثني الأخير في النظر لشخصية المسيح فساد وانتشر. وشيئًا فشيئًا صار هو الأصل وصارت مخالفته هرطقةً وخيانةً لحقيقة المسيح، وصار الموحّدون فئات ضئيلة تتعرّض للاضطهاد ويُنظر إليها على أنّها بدعيةٌ ضالةٌ تستوجب الطرد والمحاربة " (باول، صفحة 31).

بذلك فقرار ألوهيته أُتّخذ على يد البشر بعد تأسيس الكنيسة الأولى، وتمّ الاعتراف بلاهوت **المسيح** في مجمع نيقية بالأغلبية الذي اقترح وناقش المظاهر المسيحية وصوّت عليها بما فيها ألوهية **المسيح** بأن يكون ابن الرّب: "حتّى تلك اللحظة في تاريخ البشرية كان المسيح في نظر أتباعه نبيًا فانيًا، رجلٌ عظيمٌ وذو سلطةٍ واسعةٍ إلا أنّه كان رجلاً إنسانًا فانيًا " (براون، 2006، صفحة 261). وفكرة تأكيد ألوهية **المسيح** كانت ضروريةً لتوطيد وحدة الإمبراطورية الرومانية، ولإقامة قاعدة سلطة الفاتيكان: " ومن خلال المصادقة الرسمية على كون المسيح ابنًا للربّ حوّل قسطنطين المسيح إلى إلهٍ مترفّعٍ عن عالم البشر. كينونةٌ تتمتّع بسلطةٍ لا يمكن تحديدها أبدًا. وهذا الأمر لم يعمل على وضع حدٍّ لتحديات الوثنيين للمسيحية فحسب، بل بسبب ذلك لن يتمكّن أتباع المسيح الآن من التحرّر من الخطايا إلاّ بواسطة طريقٍ مقدّسةٍ جديدةٍ، وهي الكنيسة الكاثوليكية الرومانية " (براون، 2006، صفحة 261، 262).

من هنا ذاعت فكرة المسيحية الممزوجة بالعقائد الوثنية بعدما: " أعان السلطان الروماني على بلوغ هذه النتيجة الرديئة فإذا الواحد ثلاثةٌ، وإذا المعابد مذابحٌ وقرابينٌ، وإذا رجال الدين وسطاء يغفرون الذنوب، وإذا المسؤولية الشخصية تبتعد، وإذا أحكامٌ إلهيةٌ كثيرةٌ تتوارى" (الغزالي، 1992، صفحة 27).

إنّ أكثر ما تستفزّ به الرواية الفاتيكانَ والكنيسةَ، هو ادّعاؤها بوجود نسلٍ سريٍّ للمسيح بناءً على زواجه السري من **مريم المجدلية**، وقد دأبتْ جماعة فرسان الهيكل على صيانة نسله وأسراره، كما يوحي بأنّ ملوك فرنسا انحدروا من سلالة الميروفينجيين الذين زعموا تحدّرهم من **المسيح**: "هذا الدم الملكيّ

تخلّد بسريّةٍ تامّةٍ طوال ما يقارب أربعمائة سنةٍ. كثيرٌ من التحالفات السلالية حدثت مع عائلات أخرى يهودية وأيضًا مع الرومان والفيزيقوط. وفي القرن الخامس تصالبتْ سلالة يسوع مع سلالة الفرنجة فجاءت سلالة الفرنجة فجاءت سلالة الميروفنجيين بيير بلانتارد دو سانت كلير، هو إذن من سلالة المسيح " (نوار، 2006، صفحة 38). وظلّ هذا السرّ محميًّا طيلة قرونٍ بفضل فرسان هيكل دير صهيون، ولم تكن مهمّتهم حماية حجّاج بيت المقدس بل كانت غطاءً لأعمالهم للعثور على الوثائق السرية الدفينة تحت حطام الهيكل التي تثبت زواج **يسوع**، وهي الوثائق التي يطلق عليها الدم الملكي.

أثار هذا سخط الكنيسة بما قالته الرواية من أفكارٍ روّجت بادّعاءاتٍ تناقض المسيحية التي لطالما اعتنقتها الأمم دفاعًا عن ألوهية **المسيح** ومعتبرةً في ردّها عليها أنّ: "الاعتراف بلاهوت السيد المسيح لم يكن أمرًا ألزمه مجمع نيقية والإمبراطور قسطنطين في القرن الرابع الميلادي، بل أمرٌ شهد الآب السماوي وكثيرون منذ بداية إعلان السيّد المسيح لنفسه وبداية خدمته العلنية ")سليمان(. كان هذا تمهيدًا للتجسيد الذي نزل فيه الله عن عرشه وتحوّل إلى جنينٍ في بطن أمه مريم، ثمّ صبيٍّ يتكلّم في المهد، ثمّ رسولٍ ينصح الناس، ثمّ قتيلٍ على خشبة الصليب ليكون فداءً للبشر بعدما أخطأ أبوهم آدم وورثوا ذل الخطيئة... كلّ هذه الأفكار روّج لها **قسطنطين** حسب الرواية باستغلال شأن **المسيح** في إلهامه الناس نحو حياةٍ أفضل، ولكن ما حدث بعدها هو لب الموضوع: " فقد كانت هناك الآلاف من الوثائق التي سجّلت حياته على أنها حياة إنسانٍ فانٍ. عرف قسطنطين أنّه لكي يتمكّن من إعادة كتابة التاريخ كان بحاجةٍ إلى ضربةٍ جريئةٍ، ومن هنا وُلدت أهمّ لحظةٍ في التاريخ المسيحي... فقد أمر قسطنطين بإنجيلٍ جديدٍ وقام بتمويله أبطل فيه الأناجيل التي تتحدّث عن السمات الإنسانية للمسيح وزيّن تلك التي أظهرت المسيح بصفاتٍ إلهيةٍ، وحُرّمت الأناجيل الأولى وتمّ جمعها وحرقها " (براون، 2006، صفحة 262). وهذا الرأي تثبته أيضًا الكثير من التواريخ المدوّنة والوثائق المكتوبة: " وُجدت ولا تزال أعدادٌ من المسيحيين الذين أنكروا تأليه المسيح عليه السلام ورفضوا عقيدة التجسّد والتثليث، وأكّدوا تفرّد الله الآب وحده بالألوهية والربوبية والأزلية وأنّ المسيح عليه السلام بشرٌ مخلوقٌ " (باول، صفحة 33).

وما يثير الاهتمام هنا، أنّ كلّ من كان يفضّل الأناجيل الممنوعة يُتّهم بالهرطقة ويحاكم ويُعدم. لكن لحسن الحظ أنّ بعضها تمكّن من النجاة. وتستدلّ الرواية بأدلّةٍ لإثبات صحّته: " فقد تمّ العثور على وثائق البحر الميت عام 1950 مخبّأة في كهفٍ بالقرب من قمران في صحراء النقب، كما عُثر على الوثائق القبطية عام 1945 عند واحة حمّادي، وقد تحدّثت تلك الوثائق عن كهنوت المسيح بمصطلحاتٍ إنسانيةٍ تمامًا بالإضافة إلى أنّها روت قصّة الغريل الحقيقية " (براون، 2006، صفحة 263). و**المسيح** بذلك كان رمز السلام والمحبّة والخلاص من الموت من أجل الحياة كما ترمز إليها مواقفٌ من سيرته. وفي إطار هذه المفاهيم تستحضر الرواية شخصية **المسيح** مع ما يتداخل معها وما ترمز إليه، لتقارن حقيقة إنسانيته مع تجسيد ألوهيته، بما قامت به الكنيسة من قتلٍ وتزييفٍ وتحريفٍ لنشر فكرتها أنّ **المسيح** أصبح رمزًا للسلام والخلاص، وكان صلبه سببًا لتعميم السلام والمحبة بين الناس.

هذا ما يؤكّده **لاي تيبينغ** لصوفي في إدانته الكنيسةَ والفاتيكان: "حاول الفاتيكان جاهدًا كعادته في إخفاء الحقيقة وتضليل البشر، حاول أن يمنع نشر تلك الوثائق، ولمَ لا يفعل؟ حيث أنّ الوثائق تلقي الضوءَ على تناقضاتٍ وفبركاتٍ تاريخيةٍ فاضحةٍ، تؤكّد بشدةٍ أنّ الإنجيل الحديث كان قد جُمع ونقّح على يد رجالٍ ذوي أهدافٍ سياسيةٍ تتجلّى بنشر أكاذيب حول ألوهية الإنسان يسوع المسيح، واستخدام تأثيره لتدعيم قاعدة سلطتهم ونفوذهم... من الأهمية بمكانٍ أن نتذكّر أنّ رغبة الكنيسة الحديثة بمنع نشر هذه الوثائق،تأتي من إيمانهم الصادق في رؤيتهم الراسخة للمسيح كإلهٍ" (براون، 2006، صفحة 263). من هنا ندرك أنّ الرواية توجّه على لسان **روبرت** و**لاي** للكنيسة اتّهامًا خطيرًا وتحمّلها مسؤولية نشر ودعم فكرة ألوهية **المسيح** بين المسيحيين طيلة قرونٍ، وبالتالي فتلك الوثائق تتعارض مع ما يعتقدونه لذلك اعتبروها شهادات زائفة ودلائل كاذبة. يقول **لاي**: " بما أنّ إنجيل قسطنطين هو الحقيقة الوحيدة التي عرفوها لعصورٍ خلتْ، فلا أحد أكثر تمذهبًا من الذي تمّ تلقينه... هو أنّنا نعبد آلهة آبائنا... هو أنّ كلّ ما علّمنا إياه آباؤنا عن المسيح هو خاطئ تقريبًا " (براون، 2006، صفحة 263).

في سوق الرواية هذه الاتّهامات الخطيرة للفاتيكان وفضح ما قام به في القرون الأولى للميلاد، نتساءل عن حقيقة ذلك: هل كلّ ما أوردته الرواية صحيح أم أنّ ذلك مجرّد اِدعاءٍ؟ إذا كان الأمر كذلك

ما هي الأهدافه الخفيّة وراء ذلك؟ إلامَ تدعو مقابل هدم المسيحية؟ ما حقيقة **المسيح**؟ كيف تمّ الردّ على الرواية وعلى كلّ ما جاء فيها من قبل مسيحيين ورجال دينٍ؟ كيف أثبتوا عدم صحّة ادعائها؟ كيف حاولوا استرجاع ثقة المسيحيين بعد محاولة هدمه لها ؟

يرى القسّ في ردّه على **شيفرة دافنشي** أنّ: " مخطوطات البحر الميت هي كتاباتٌ عبريةٌ لأسفار العهد القديم، وقد كُتبت قبل ميلاد السيد المسيح بزمنٍ طويلٍ وليست كتابات صحيحة. أمّا كتابات نجع حمادي فهي كتابات غنوسية... متعارضة تمامًا مع الكتابات المسيحية القانونية التي كتبها رسل السيد المسيح بالقرن الأول الميلادي، كما أنّها تتعارض مع الأسفار العبرية " (سليمان، صفحة 20). كما أثبت صاحبا كتاب **التحقيق** من خلال هذه المخطوطات حقيقة عزوبية **المسيح** عكس ما اِدّعته الرواية عمّا اِحتوته هذه الوثائق السريّة، من أنّ **المسيح** أعطى قيمةً للزهد والتقشّف والعزوبية على حساب الحياة الجنسية والزواج. وبذلك كان اكتشاف مخطوطات البحر الميت تدحض طرح **شيفرة دافنشي**: " إذا كان دان براون يذكر مخطوطات البحر الميت دون الرجوع إلى ما تحتويه، فذلك لأنّها تؤيّد طرحًا مناقضًا لِطرحِه " (نوار، 2006، صفحة 127).

وبالمقابل يدافعان عن الكنيسة: " من غير المعقول توجيه الاتّهام من النظرة الأولى لأنّ الكنيسة الكاثوليكية لم يكن لديها شيءٌ لتخفيه" (نوار، 2006، صفحة 127). رغم ما أثارته هذه المخطوطات من ردود فعلٍ ومساجلاتٍ كلاميةٍ عن إخفاء الكنيسة الأسرار والتحفّظ على كتمان النصوص.

4. حياة السيد المسيح:

هل سعتْ الكنيسة فعلاً لإخفاء سرّ زواج **المسيح** من **مريم المجدلية** طيلة قرونٍ عديدةٍ؟ هل حاولت حذف النصوص التي تثبت ذلك؟ هل حدث ذلك في مجمع نيقية الذي أمر به الإمبراطور **قسطنطين**؟ لماذا أقدمت الكنيسة على اضطهاد من حاول تكذيب حقائقها؟ لماذا استمرّ خوفها من كشف سرّ **المجدلية**؟ لماذا وَسَمَتْها دائمًا بالعار وعلى أنّها مومسٌ بغيٌّ في الأناجيل الأربعة؟

هذا ما تحاول الرواية أن تثيره وتجيب عنه، مدّعيةً استنادها لصحّة الكثير من الوثائق التي تثبت ذلك ويجهلها كثيرٌ من الناس؛ إذ قدّمتْ صورةً مخالفةً للحقيقة المسيحية، وخالفت ما يقوله الإنجيل من

أنّ **المسيح** كان عازبًا، واعتبره إنسانًا عاديًا تزوّج كباقي البشر من **مريم المجدلية** وأنجب منها فتاةً اسمها **سارة** بعد سفرها لبلاد الغال، وتعيش ذريته إلى اليوم ولكن في الخفاء. وهو ما تذكره السجلات والوثائق التاريخية. وتستدلّ بأنّ **المسيح** ينحدر من سلالة **داوود** –عليه السلام– وقد كان العرف الاجتماعي اليهودي آنذاك يحرّم على الرجل أن يكون عازبًا، كما أنّ الامتناع عن الزواج كان ذنبًا يُعاقَب عليه حسب التقاليد اليهودية. ولو كان **المسيح** أعزبًا لكان ذلك قد ذُكر في أحد الأناجيل وتمّ تفسير حالة عدم زواجه غير المألوفة، ولكانت الكنيسة قد صرّحتْ بذلك. وفي ذلك تُعتبر الكنيسةُ المسؤولةَ عن إخفاء هذا السرّ الأعظم، لأنّها وصمتْ **مريم المجدلية** بالعار والخطيئة (كانت مومسًا)، باعتبارها الوعاء المقدّس الذي حمل سلالة **المسيح** الملكية وورثة المسيحية (براون، 2006، الصفحات 245– 255) .

وتستدلّ أيضًا بمخطوطات البحر الميت، ويعتبرها أقدم الكتابات المسيحية The earliest Christian record؛ ففي سنة 1947 أُكتشفت مخطوطات البحر الميت وسط سهول الصحراء اليهودية تسمى صحراء النقب في مغارة قمران، كما أُكتشفت سنة 1945 أوراقٌ من الرقّ القبطية في نجع حمادي Nag Hammadi التي تروي قصّة الكأس المقدّسة وأعمال تبشير **المسيح** من جانبٍ إنسانيٍّ: " ومن أجل بناء صحّة فرضية على قصّةٍ حقيقيةٍ صحيحةٍ للغز الكأس المقدّس أُدخلت شخصية مريم المجدلية (الكأس الحقيقية) وزواجها من يسوع، وقد استند دان براون في ذلك إلى اكتشافين هامّين " (نوار، 2006، صفحة 111).

وقبل أن نتحدّث عما أوردته الرواية، سنتعرّض لما جاء في المخطوطات لتبين صحّة ما قالته عنها أو عن حياة **المسيح**، ولتبين صحّة وحقيقة نواياه:

تعدّ مخطوطات قمران/مخطوطات البحر الميت أهمّ مخطوطاتٍ دينيةٍ أُكتشفتْ في العالم لحدّ الآن، وكان لها دويٌّ كبيرٌ في العالم كلّه لأنّها تعتبر شاهدًا تاريخيًا وأثريًا هامًّا على مرحلةٍ حسّاسةٍ من التاريخ المشرقي في مختلف جوانبه خاصّةً الديني منها، وترجع لنحو ألفي سنةٍ وتشمل نصوصًا أصليةً لملّةٍ يهوديةٍ منعزلةٍ في الصحراء تسمى الأسينية: " تشير تسمية الأسينيين إلى ملّةٍ يهوديةٍ وجدت نحو بداية العهد المسيحي، وكانت معاصرةً للصدّوقيين والفرّيسيين، لكن الفرّيسية هي التي استمرت بعد دمار الهيكل

لتشكّل النواة الجديدة للحاخامية اليهودية، في حين اِختفى الأسينيون دون أن يتركوا أيّ أثرٍ. ومع ذلك فقد ظلّوا معروفين من خلال بعض النصوص القديمة، ولهذا فإنّ النقاش حولهم كان قد بدأ قبل اكتشافات قمران " (الخوري، 1998، صفحة 35).

كان الأسينيون على خلافٍ مع الفرّيسيين، وعلى صلةٍ وثيقةٍ مع سكان الشمال الإسرائيليين حول الصراع بين اليهود أنفسهم على السلطة وعلى فلسطين خاصّةً.كما تحكي معظم الوثائق صلة **المسيح** بالأسينيين أو أنّه كان منهم واِطّلع على تعاليمهم أو إعلانهم عن مجيء مسيحهم المنتظر كما تقول نصوصهم الدينية السابقة، وحول أمالهم في إسرائيل جديدةٍ حقّةٍ. وقد اختفتْ آثار الأسينيين لأنّ عددًا منهم تبع **المسيح** ثم تفرّقوا في الحجاز والشام، وبعضهم الآخر قد تنصّر. وما ميّزهم أنّهم كانوا مضطهدين من السلطة السياسية والدينية اليهودية في تلك الفترة، وكانوا يعيشون في جماعاتٍ منعزلةٍ متفرّغين للعبادة وفق منهجهم الخاصّ الذي كان باعتقادهم أنّه الأصحّ، ذلك أنّهم كانوا يعتقدون على قلّتهم بأنّهم كانوا يعرفون الحقيقة وبأنّ أغلب اليهود كانوا على ضلالٍ.

اهتمّ بهذه المخطوطات عددٌ من المختصّين في علم الآثار وفقهاء اللغات الساميّة ومؤرّخي الشرق القديم ودياناته: " وكان أحد الأسباب الرئيسة لهذا الاهتمام احتمال وجود علاقة بين الأسينية ونشأة المسيحية، إضافةً إلى الإضاءة الهامّة التي ألقتها المخطوطات حول الوثائق الدينية اليهودية نفسها. وكانت فكرة ارتباط المسيحية بالأسينية قد طُرحت قبل اكتشاف المخطوطات، ممّا أدى إلى إعادة طرح الفكرة بقوّةٍ حال اكتشاف الوثائق " (الخوري، 1998، صفحة 44).

بذلك، فُتح الباب أمام الباحثين والمؤرّخين للبحث عن حقيقة التوراة والتوراة المنحولة وتاريخ الدين اليهودي: "جاءت المخطوطات التي حقّقت ونُشرت على مدى أكثر من خمسين عامًا، لتكشف عن جوانب مفاجئةٍ إلى حدٍّ كبيرٍ من حيث التطوّر التاريخي والسياسي للدين اليهودي في العصور السابقة للميلاد، وتأثّره بالتغيّرات العاصفة التي كانت تشهدها المنطقة، كما ومن حيث استمرارية الأفكار التي كانت سائدةً في قمران " (الخوري، 1998، صفحة 05).

رغم أنّ المخطوطات لم تُحقَّق وتُنشر كاملةً لأسبابٍ مجهولةٍ، إذ ظلّ بعضها مغيبا ومحتجزًا، فقد أثار ذلك الرأي العام حتّى تمّ الكشف عن أجزائها: " لقد جاءت المخطوطات لتؤكّد من جديدٍ أنّ الدين اليهودي انطوى على تناقضٍ ولّد صراعًا حادًّا مع بداية العهد المسيحي يعكس المرحلة الأخيرة التي عاشها، في محاولةٍ يائسةٍ لإيجاد قوميةٍ يهوديةٍ. ولا شكّ أنّ الصهيونية لعبتْ دورًا كبيرًا في تأخير نشرها في محاولةٍ منها لإيهام الرأي العام بأنّ المخطوطات تحتوي على ألغامٍ دينيةٍ. وبالمقابل حاول اليهود جاهدين التركيز على أنّ هذه المخطوطات جاءت لتؤكّد أصالتهم في المنطقة، لكنّها في الحقيقة وعند الدراسة المتمعّنة تبين أنّ اليهودية نفسها، قامت على إضافاتٍ وتأليفاتٍ مستمرّةٍ عبر قرونٍ كثيرةٍ في محاولةٍ لبناء دينٍ يكون أساسًا لبناء قوميةٍ لم يكن لها مقوّمات الوجود والاستمرار أصلاً " (نوار، 2006).

وقد أثارت مخطوطات البحر الميت منذ اكتشافها ردود فعلٍ عنيفةٍ، حيث أُتهمت الكنيسة الكاثوليكية بإخفاء الأسرار عن حياة وزواج **المسيح**، كما والتحفّظ على النصوص التي تثبت ذلك لضمان السيطرة والِتفاف الناس حولها. وترى الرواية أنّ الكنيسة سعت لإخفاء سرّ زواج **يسوع** ومن ثمّ حذف النصوص التي تشير لذلك في مجمع نيقية عام 325 م بدعوةٍ من الإمبراطور **قسطنطين**، ثمّ قامت الكنيسة بحملة اضطهادٍ واسعةٍ لكلّ من يحاول تكذيب الحقيقة الرسمية الجديدة.

وكان لنشر رواية **شيفرة دافنشي** ذلك وكشفه للعلن، بالغ الأثر في العالم بما فيه المسيحي، فتابعت وسائل الإعلام العالمية ذلك، وانقسم العالم بين مؤيّدٍ ومعارضٍ باحثين في المصادر التي اِستندتْ إليها الرواية، فلا أحد يُنكر ما قامت به الكنيسة من حملات حرق وإتلاف الكثير من المخطوطات والوثائق السريّة التي تدينها: " الحقيقة التي لا تقبل ردعًا ولا حجبًا هي أنّ رواج كتاب شيفرة دافنشي زعزع إيمان الكثيرين من مختلف الأعمار وفي شتّى أنحاء العالم... مهما يكن فإنّ دان براون حرٌّ في كتابة ما يحلو له، إنّما جاءت كتاباته تبثّ السموم مقنعةً بالرغبة في البحث عن الحقيقة" (نوار، 2006، صفحة 10، 11). ولا تكتفي الرواية بذلك، بل تعدّته للحديث عن قضيةٍ خطيرةٍ تمسّ ادّعاء الكنيسة الكاثوليكية على **المسيح** بأنّه كان أعزبًا طوال حياته، وبدرجةٍ أكبر حقيقة علاقته المخفية بالمجدلية.

5. علاقة المسيح بمريم المجدليّة:

هل تزوّج **المسيح** فعلاً من **مريم المجدلية؟** من هي **مريم المجدلية** التي تظهر بقوّةٍ في إنجيل يوحنا؟ لماذا هي غائبةٌ كليًّا في الروايات الأولى عن المسيحية الناشئة المتعلّقة بأعمال الرسل ورسائل القديس **بولس؟** هل كانت حقًّا خليلة **يسوع المسيح** وهل كان له خلفٌ منها؟ هل قرّرتْ الكنيسةُ حذفَ المؤنّث المقدّس الذي كان موجودًا في الوثنية القديمة لتأسيس دينٍ ذكريٍّ؟ كيف تعاملتْ الكنيسة معها في علاقتها بيسوع وكيف همشتها بذريعة تحريم الحديث عن الحياة الجنسية للمسيح كإلهٍ؟

تعتبر **مريم المجدلية** من أهمّ الشخصيات النسائية التي رُوي عنها الكثير من الروايات والأساطير في العصور الوسطى حتى القرن 15م، لأنّها كانت أكثر قربًا من **المسيح** في المسيحية، ويذكر الكتاب المقدّس أنّ اسم **مريم** أو **ماري** كان شائعًا بكثرةٍ أيام **المسيح**، فهناك كثيرات ممّن سُمين به وكانت لهن مكانةٌ عنده: "وتذكر الأناجيل إلى جانب أمّ يسوع العديد من المسمّيات باسم مريم في محيط المسيح واسم المجدلية واحدةٌ منهن " (نوار، 2006، صفحة 99). فهناك: مريم أم يسوع، مريم أخت مريم أم يسوع زوجة كلوباوس ومريم المجدلية. كما تذكر الأناجيل أنّ **مريم المجدلية** كانت من أتباع **المسيح**، وقد أخرج منها سبعة أرواحٍ شريرةٍ، كما: " تتّفق الأناجيل الأربعة على الإشارة إلى وجود مريم المجدلية في لحظتين مصيريتين حيث يتكشّف المعنى الثلاثي للتجسيد: موت المسيح وقيامته " (نوار، 2006، صفحة 100).

ولأنّها كانت الشاهدة الأولى على لحظة صلبه وقيامته، كانت أوّل من أخبر الرسل بقيامته. وهذا يُظهر أهميتها: " في التقليد المسيحيّ الشعبيّ هي مومسٌ تخلّصت من خطاياها بتعلّمها على يد السيّد المسيح، وتصوَّر بشكلٍ ملحوظٍ جدًّا في الإنجيل الرابع حيث إنّها الشخص الأوّل الذي يشاهد المسيح بعد الانبعاث. في النتيجة هي مبجّلة كقدّيسةٍ خصوصًا في فرنسا حيث طبقًا للأساطير من القرون الوسطى قيل بأنّها جلبت الكأس المقدّسة " (لينكولن، 2006، صفحة 134).

في سنة 1982م صدر كتاب **الدم المقدّس، الكأس المقدّسة** لينسج الأساطير من جديدٍ حول **مريم المجدلية**، إذ قدّم مؤلفو الكتاب الثلاثة أسطورة مريم المجدلية بأسلوب تاريخي في صور رمزية والكثير من الألغاز والأسرار، حيث حوّلوا دم المسيح إلى نسلٍ، والكأس إلى رحم المجدلية الذي حمل

نسل وسلالة المسيح. كما زعموا أنه من المحتمل أن يكون ذهب بعد الصلب مع مريم المجدلية وأطفالهما إلى ما يعرف الآن بجنوب فرنسا، حيث أسّسا سلالة ملكية ميروفنجيان Merovingians، وزعموا أنهم توصّلوا في بحثهم عن أسطورة الكأس المقدّسة إلى وجود جمعية سرية تسمي جمعية سيون ترجع إلى فترة الحروب الصليبية ومع تكوين فرسان الهيكل لحماية النسل الملكي للمسيح سليل النبي داوود ورئيس الكهنة هارون، كما ادّعوا أن الكنيسة الكاثوليكية حاولت قتل بقايا هذه السلالة وحرّاسها.

وقد اعتمدتْ **شيفرة دافنشي** بشكلٍ كبيرٍ على هذا الكتاب، لبيان حقيقة زواج **المسيح** منها، وكانت لها مكانةٌ هامّةٌ في الكنيسة الأولى لأنّها طغتْ على أعمال الرسل **بطرس** و**بولس**، ثمّ قرّرت الكنيسة الكاثوليكية إبعادها وتجنّب ذكرها، وخلال مجمع نيقية قامت بإخفاء هذه الحقيقة المزعجة لها خاصّةً منها ما تعلّق بالمجدلية. وادّعت الرواية أنّ الكنيسة الكاثوليكية حاولت قتل بقايا سلالة **المسيح**، ومحاربة أخوية سيون المسؤولة عن حماية الدم الملكيّ وحرّاسها فرسان الهيكل لكي تستمرّ سيطرة الكنيسة من خلال تتابع التسليم الرسولي عن القديس **بطرس الرسول** وليس **مريم المجدلية** التي زعموا أنّ **المسيح** أراد أن يضعها على رأس الكنيسة بدلاً من **بطرس**.

كما أخذتْ الروايةُ الكثيرَ من أفكاره هذه وأخرى مما ورد في كتاب **الدم المقدّس**، **الكأس المقدّسة**. واستشهد بها مدعّما آراءه وأفكاره ليوهم بصحتها، لكن مؤلّفي الكتاب كانوا أكثر مصداقيةً وأمانةً منه؛ حيث اِنتحل أفكارهم وأضاف إليها في روايته الكثير من الأساطير وأفكاره الخاصّة: " فقد اعترفوا بأنّ ما وضعوه في روايتهم ما هو إلاّ أساطيرٌ لا دليل على صحّتها أو أنّها كاذبةٌ. بل قال ريتشارد لي أحد المؤلّفين الثلاثة في حديثٍ تلفزيونيٍّ: أنّهم قدّموا افتراضاتٍ وليس حقائق ولكنهم لم يؤمنوا قط أنّها حقيقةٌ... فقاموا مؤلّفو الرواية الأولى باتّهام دان براون بالانتحال على أساس أنّه استخدم ما جاء في روايتهم بكثرةٍ شديدةٍ " (الخير،، 2006، صفحة 34).

وتؤكّد الرواية أنّه عندما صلب **المسيح** كانت **مريم المجدلية** حاملاً بابنته، وحفاظًا عليها قامتْ بالسفر سرًّا إلى فرنسا أين وجدتْ الملاذ الآمن وأنجبت ابنتهما **سارة** التي تُعتبر من سلالة الملوك اليهود. وقد خشيتْ الكنيسة على الدوام انكشاف السرّ لأنّ ذلك يؤدّي في النهاية إلى كشف علاقة **المسيح**

بها: "وقد أرّخ الكثير من الباحثين في تلك الحقبة الأيام التي أمضتها مريم المجدلية في فرنسا بما فيها حدث ولادة سارة وشجرة العائلة التي تبعتها... ويقال إنّها أهمّ وثيقةٍ من وثائق السانغريال وهي تحتوي على شجرة العائلة كاملةً لسلالة المسيح " (براون، 2006، صفحة 286). وتشتمل وثائق السانغريال معلومات خطيرة غير محرّفةٍ، تعود إلى ما قبل عصر **قسطنطين**، كُتبتْ بيد أتباع **المسيح** الأوائل، عَثر عليها **فرسان الهيكل** تحت هيكل **سليمان** مَدّتهم بقوّةٍ عظيمةٍ. وهذه الوثائق كانت حملات البحث عن الغريال على مرّ العصور، لأنّ مخبأ الكأس المقدّسة هو مدفن **مريم المجدلية**، الملكة التي لم تُنصّب على عرشها والمدفونة مع الدليل الذي يُثبت أحقيّتها في السلطة: " إنّ البحث عن الكأس المقدّسة هو بالتحديد الرغبة في الانحناء أمام رفات مريم المجدلية، هو رحلةٌ للصلاة عند قدمي المطرودة، الأنثى المقدّسة المفقودة " (براون، 2006، صفحة 287).

بوجود هذا الكنز السري والخطير الذي كان بحوزتهم فإنّه: "من المحتمل أن يكونوا قد ابتزّوا البابوية، هذا ما يفسّر لنا سبب ثروتهم الهائلة، كانوا بواسطة الوثائق الموجودة بحوزتهم امتلاك قادرين على تدمير أسس الكنيسة والمملكة اللتين لم تتمكّنا من وضع اليد عليه (الكنز) مع أنّهما لم يتركا وسيلةً لذلك بما فيه القمع حتّى الموت... بعض فرسان الهيكل تمكّنوا من الهرب بالكأس تاركين وراءهم الجماعة السرية لدير صهيون على الاستمرار في العيش في الظلّ حتّى يومنا هذا " (نوار، 2006، صفحة 39) . وبعد تحريم حتّى الحديث عنها بطريقةٍ مباشرةٍ كان يجب تناقل قصّتها عبر الأجيال بطرقٍ أخرى وأكثر تحفّظًا، تقوم على تعابير مجازيةٍ ورمزيةٍ عن طريق الفنّ.

بالإضافة إلى أعمال **دافنشي** الفنية التي تتحدّث عن ذلك، نجد كذلك أنّ: "بوتيشللي وبوسان وبيرنيني وموتزرات وفكتور هيغو همستْ سرًا بقصة البحث عن الأنثى المقدّسة المطرودة واستعادتها من جديدٍ. فالأساطير الخالدة مثل سيرغاوين والفارس الأخضر والملك آرثر والأميرة النائمة كانت كنايةً عن الغريل. كما أنّ رائعة فيكتور هيغو أحدب نوتردام وسمفونية الناي السحري لموتزارت كانت مليئةً بالرموز الماسونية وأسرارًا عن الغريل" (براون، 2006، صفحة 291). والأمر نفسه مع قصص **ديزني** التي تعاملت

مع الدين والأساطير الوثنية والآلهة المستعبدة مثل سندريلا، الأميرة النائمة، بياض الثلج... تمثّل تحية إجلالٍ لذكرى المنفية والآلهة الأنثى التي تشير إلى قدسية **إيزيس** و**حوّاء** باعتبارهما آلهةً أنثى.

وتستقي الرواية مصادرها في ذلك من التاريخ الحقيقي الممزوج بالخيال والتآمر على الفاتيكان بما قام به ضدّ فرسان الهيكل؛ ففي الرواية تتجسّد صور الصراع القائم بين الكنيسة المتحالفة مع الجمعية البابوية أوبوس داي وبين فرسان الهيكل المضطهدين: " لم يخترْ دان براون المنظّمة الكاثوليكية صدفةً والذي يحاول في روايته بكلّ الوسائل إعاقة أسطورة فرسان هيكل صهيون" (نوار، 2006، صفحة 174) . ولأنّ الفاتيكان يدعم أوبوس داي، فهي تسعى جاهدةً لكشف السرّ الخطير المتعلّق ببدايات المسيحية وزواج **المسيح**، وهذا هو محور الخديعة والصراع. وتكشف الرواية أيضًا أنّ الفاتيكان قد أوكل مهمّة تصفية فرسان الهيكل من قبل جماعة **أوبوس داي** المعادية لهم باعتبارها تابعةً للكنيسة.

6. خاتمة:

مازالت إشكالية علاقة الأدب بالدين تَطرح الكثير من الأسئلة الجوهرية خاصّةً في روايات **دان براون** وتعبيرها عن الواقع ومستوى جمالياتها ومضامينها وبنائها الشكلي بمختلف خصائصها ومادة أسلوبها. وكان هدفنا توضيح جوانب عمّا يكتبه **دان براون** من حقيقةٍ وخيالٍ وتزييف وتغيير... فقد توسّع في عرض أفكاره التي تداخلتْ مع عدّة موضوعاتٍ متّصلة بها، فعكس واقعًا متزامنًا مع الأحداث التي تناولتها روايته في رؤاها ومواقفها وإيديولوجياتها... فحاولت دراستنا أن تبيّن بعض القضايا الدينية في رواية **شيفرة دافنشي**، التي ركّزتْ عليها إمّا بالرمز أو التلميح أو التصريح... حتّى إن اختلفت دوافع الكتابة عنده في صياغة أفكاره بطريقةٍ إيديولوجيةٍ مثيرةٍ ومميّزةٍ، خاصّةً إذا تعلّق الأمر بإحساسه الساخط على ما قامت به الكنيسة طيلة قرونٍ ورغبةً منه في تغيير واقع الأمور .

تنتهي الرواية ولا ينتهي معها الجدل أبدًا، لأنّ كلّ ما ورد فيها يقول عنه المؤلّف إنّه حقيقيٌّ وموثَّقٌ بالكثير من المراجع التي لا تقبل الشكّ أو الردع، كما أنّ موقف الفاتيكان المتخاذل من تصريحات الرواية يثير الشكّ خاصّةً أنّه لم يطلب منع تداولها إلاّ بعد أشهرٍ من صدورها، حيث بيع منها حوالي 10 ملايين نسخةٍ. كما أنّ سرية الفاتيكان قد أدانها **براون** وهاجمها قبلاً في روايته **ملائكة**

وشياطين، حينها زادت شكوك وسخط الكثيرين في العالم المسيحي. ولا شكّ في أنّ روايته بذلك أصبح لها تأثيرٌ كبيرٌ في القارئ والعالم ككلٍّ وأصبحت أكثر مقروئيةً بسبب موضوعاتها.

7. قائمة المراجع:

القس عبد المسيح أبو الخير،. (2006). *مريم المجدلية وعلاقتها بالمسيح، ردًا على كتاب شفرة دافنشي.* كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد,: مطبعة المصريين.

القمص أبرام داود سليمان. (بلا تاريخ). *كنيسة مارمرقس الرسول القبطية الأرثوذكسية*. (جرسي سيتي، نيو جرسي، المحرر، و الولايات المتحدة الأمريكية، المنتج) تم الاسترداد من الردّ على شيفرة دافنشي: www.copticMedia.org

أندري دوبون- سومر، مارك فيلوننكو. ترجمة وتقديم موسى ديب الخوري. (1998). *التوراة: كتابات ما بين العهدين. مخطوطات قمران- البحر الميت. الكتب الأسينية.* دمشق، سوريا: دار الطليعة الجديدة.

إينوك باول. *تطور الإنجيل، المسيح ابن الله أم ملك من نسل داود؟ دراسة نقدية وترجمة جديدة لأقدم الأناجيل.* ترجمه وعلق عليه وحرر نصوصه اليونانية واللاتينية والعبرية والآرمية أحمد إيبش.

دان براون. (2006). *شفرة دافنشي، ترجمة سمة عبد ربه.* بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم، ناشرون.

ماري فرانس أتشغوان، فريدريك لو نوار. (2006). *شيفرة دافنشي، التحقيق. ترجمة سليم طنوس.* بيروت، لبنان: دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع.

محمّد الغزالي. (1992). *صيحة تحذير من دعاة التنصير.* الجزائر: دار الانتفاضة للنشر والتوزيع.

ميشيل بيجنت، ريتشارد لي، هنري لينكولن. (2006). *الدم المقدّس، الكأس المقدّسة.* دمشق، سوريا: الأوائل للنشر والتوزيع.

هيلين إيليربي. (2005). *الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، ترجمع وقدّم له سهيل زكار.* دمشق، سوريا: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.